

# من خطى الأولياء

الإمام الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

### كدح الإنسان في الدنيا

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (١).

الإنسان في هذه الحياة الدنيا يسعى بجد ليصل إلى هدفه الأخير وهو الكمال، ولذلك يصف الله عزوجل سير الإنسان في الحياة بالكدح وهو العمل الشاق المتعب؛ (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) أي إن نهاية الأمر هو الرجوع إلى الله تعالى، ولكن غايات البشر متباينة، فالمؤمن يكدح ليحصل على رضا الله، والملحد يكدح ليلتذ بالدنيا، ويتمتع بزخارفها. وكلامنا يخص الإنسان المؤمن وسيرته، وهذه المسيرة الإيمانية عادة تمر بمراحل عديدة، حتى يصل المرء إلى الشوط الأخير. فيبدأ الإنسان يفتش عن خبايا نفسه العجيبة وأسرارها، وهي المرحلة المسماة بـ(معرفة النفس)، أي الاطلاع على حقيقة فقر الذات الإنسانية، وكيف أنها لا تستغني عن خالقها في كل آن. وهو الأمر الذي يدعو الإنسان إلى (معرفة الله)، وهي المرحلة الثانية من مراحل مسيرة الكمال، فيبدأ يبحث عن صفات الله عزوجل ويستشعرها، أما المرحلة الأخرى فهي العيش في الأجواء النورانية التي تفيض عليه نوراً ومعرفة، وهي مرحلة العبور من الإيمان السطحي المتمثل بأداء الواجبات عن خوف وطمع إلى اليقين وأداء الواجبات حباً وطاعة وشكراً، عندها يتهدب السلوك؛ لأنه سوف يتنور بالمشارك النورانية الإلهية، وتتبدل أعماله من اشباع للغريزة إلى صفة التقوى وملازمة الطاعة والشكر والقرب إلى الله تعالى. فهذا حال المؤمنين، تراهم يأكلون ويشربون لأجل الكدح الموصول إلى الله عزوجل، لا لأجل الملذات نفسها، أو لنداء الغرائز الشهوية، وبذلك يرتفع هؤلاء إلى المستوى الذي يفضلون منه على ملائكة الله عزوجل. ومنها تبدأ مرحلة الكدح الأخيرة، وهي محاولة الاندكك والفناء في الله، وهي التي يصلها الأنبياء والأوصياء، ولكن بمراتب متباينة، وقد فاز الرسول الأعظم وأهل بيته (عليهم أفضل الصلوات) بهذه المرتبة العظمى، ولذلك كانت الخلائق كلها في الدنيا والآخرة تنهل من النورانية المحمدية، والقدسية الشريفة التي يفيضها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على الخلائق.

أما سائر الناس فانهم يتسافلون إلى حد البهيمة، لأنهم دأبوا الطاعة لنداء الغرائز الشهوية، وهكذا هي المسيرة، فهو صراع حاد بين الإيمان والهوى، وبين حب الله وحب الدنيا، وبين الكدح واللامبالاة، إلى أن يصلوا إلى اليقين الذي يقربهم من ربهم، فتتسدد خطاهم، وتنشرح صدورهم لاستقبال الفيض القدسي، الذي ينشر على جوارح وجوانح الإنسان رحمة وقراراً وسكينة.

## درجات اليقين

إن اليقين صفة ذات مراتب ودرجات، وليس كل المؤمنين الموقنين على درجة واحدة من اليقين، فاليقين عند الأنبياء (عليهم السلام) غير اليقين عند الأوصياء، ويقين الأوصياء غير يقين العلماء، ويقين الشهداء غير يقين الآخرين، وهكذا الأمثل فالأمثل؛ ولذلك كانت الجنة مراتب مختلفة، فمناصب الأنبياء غير مناصب الناس العاديين، ومنصب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يفوق كل مناصب أهل الجنة، فاليقين الذي تحلى به الإمام علي (عليه السلام)، ويصفه بقوله: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) (١)، ذلك اليقين بالله هو قطعاً غير يقين همّام، الذي ما إن سمع كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين (٢)، حتى زهقت روحه، فكيف الحال به لو انكشف له الغطاء؟ إن يقين أمير المؤمنين (عليه السلام) يمتاز بأن ذاته القدسية قد وصلت إلى مقام الاستغراق في الله فأصبح بعيداً عن فكرة الجنة والنار، بل إنه يرى الله في كل آن، أما يقين همّام فقد كان عبارة عن الخشية من عذاب الله، فهذا فرق واضح، وأعظم من ذلك يقين الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فلولا عظمة درجة يقينه لما تحمل رحلة الإسراء والمعراج، فليس كل قلب يستطيع أن يتحمل ذلك. بل الكثيرين في عصرنا الحاضر ممن يشكك في مسألة الإسراء والمعراج؛ لأنه يراها ثقيلة على فكره الصغير.

ثم إنه لا بد من الإشارة إلى أن اليقين قابل للضعف والشدة، وذلك مرتبط بمقدار المعرفة التي يحملها الإنسان عن ربه، فكلما ازدادت معرفته به فقد ارتفع يقينه، وازداد عمله الخير، وكلما ضعفت معرفته بربه فقد قلّ يقينه، وخفت أعماله في الميزان؛ فلذلك ذكر العلماء درجات اليقين، استلهاماً من القرآن الكريم، وهي: عين اليقين، وحق اليقين، وعلم اليقين.

### الموقنون وخرق العادة

إن الركون والإيمان بالتوحيد يلهم الإنسان المؤمن قوة روحية عظيمة جداً، لأنه عندما ينظر إلى ربه في تحركه، ويفكر بربه في كل فكرة، ويذكر ربه في كل قول، ويستشعر عظمة الرب في قلبه، فإن ذلك يكون مدعاة لانشرار الصدر، واستقبال الفيض الرباني الذي يفيض على الروح قوة، ويجعلها تذلل الصعاب، بل تنقاد لها الأمور.

يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن عيسى بن مريم (عليه السلام) كان من شرايعه السبح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى (عليه السلام)، فلما انتهى عيسى إلى البحر، قال: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير، حين نظر إلى عيسى جازه: بسم الله، بصحة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى (٣). لأنه كان على معرفة يقينية تامة بالنبي عيسى (عليه السلام)، وعلى أساس هذه المعرفة مشى على الماء، فالوصول إلى هذه الدرجات ليس

١- كشف الغمة: ج ١ ص ١٧٠ في وصف زهده (عليه السلام) في الدنيا..

٢- أنظر نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣ يصف (عليه السلام) فيها المتقين.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٣٠٦ باب الحسد ح ٣.

خيالاً ولا أمراً مستحيلاً، بل هو واقع لا يمكن إنكاره. ولذلك جاء في الحديث القدسي المشهور: (يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)(١).

وهكذا يمكن تفسير قلع باب خيبر من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام)، والتي لم يكن يقدر على فتحها وإغلاقها إلا أربعون رجلاً، بينما تقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذه بيده، وقلعه من الحصن، ليجعل منه جسراً على الخندق، تعبر عليه جيوش الإسلام(٢)، فقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في رسالته إلى سهل بن حنيف (رحمه الله): (والله، ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكن أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضينة وأنا من أحمد كالضوء من الضوء) الحديث(٣).

فهذه الأمور يقف أمامها العقل المادي حائراً مذهولاً لأنه لا يجد لها تفسيراً، بعد أن حُجِّم الناس أنفسهم، وقيدوا أفكارهم بالمادة، وابتعدوا عن الغيب والروح، التي لا تعرف لها حدود معينة، فيحاولون أن يكذبوا هذه الأخبار، ويصفوها بالخرافة، ولكن هيهات فإن الله يأبى إلا أن يتم نوره، فقد تحدثت الأخبار لدى عامة المسلمين بفوائد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأكدت على هذه الأمور عين الواقع، ولكن حال بين هؤلاء وبين تصديق ذلك، الغشوات والحجب التي راكموها على قلوبهم. وصاروا كما قال تعالى عنهم: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ \* صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فُهْمٌ لَا يُرْجَعُونَ)(٤).

### ثمرات اليقين

اليقين - كما مرّ - صفة كمالية يصل بها الإنسان إلى كماله الروحي المطلق، وهو الأتس والاكتفاء والاعتماد على الله عزوجل فقط، ولهذه الصفة ثمرات عظيمة جداً في الحياة الدنيا.

### السعادة العظمى

منها: إن المتقي يرى السعادة العظمى في خدمة الآخرين لله، حيث يسعد ويفرح عندما يقدم خدمة أو عملاً ما لشخص من أجل الله، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (كان علي بن الحسين (عليه السلام) لا يسافر إلا

---

١- بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٣٧٦ ب ٢٤ ح ١٦.

٢- أنظر أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص ٣٩٩ المجلس ٦٢ ح ١٣، وفيه: عن القاسم بن أبي سعيد قال: أتت فاطمة (عليها السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) فذكرت عنده ضعف الحال، فقال لها: (أما تدرين ما منزلة علي عندي كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشر سنة وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة وفرج همومي وهو ابن عشرين سنة ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة كاملة وكان لا يرفعه خمسون رجلاً) قال: فأشرق لون فاطمة (عليها السلام) ولم تقر قدمها حتى أتت علياً (عليه السلام) فأخبرته..

٣- أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص ٥١٤ المجلس ٧٧ ح ١٠، وانظر الإرشاد: ج ١ ص ١٢٨.

٤- سورة البقرة: ١٧ و ١٨.

مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة، فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا علي بن الحسين (عليه السلام). فوثبوا، فقبلوا يده ورجله، وقالوا: يا ابن رسول الله، أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني، فأعطوني، برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما لا أستحق به، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب لي (١). هذه صورة وانموذج من أحوال المتقين، الذين تجاوزت أرواحهم وأفكارهم هذه الدنيا وتجاوزت حب الذات، إلى أن صارت تنظر إلى الآخرين وكأنها تنظر إلى نفسها، ويقوم الإنسان الموقن بخدمة الناس، ويشعر بأنه يخدم نفسه، ويقدم الخير إليها، فيسعد حينما يسعد الناس، وكذلك الشهيد، فهو ذلك الإنسان الذي وصل إلى حالة من اليقين بربه، وانقطع عن الدنيا تماماً، وتجاوز أفق الدنيا إلى الآخرة، فهو يجاهد ويخرج مقاسياً الألم ونزف الدماء، من أجل أن يعيش الآخرون؛ إذ أنه يعي تماماً بأنه يموت من أجل أن يعيش الآخرون. فهذه كلها من ثمرات اليقين، وهي أعمال تخدم البشرية وتؤمن عيشها الرغيد، وتحافظ عليها.

### الرصيد الروحي

ومن الثمرات الأخرى، أن الموقن لا ينفك يقدم صالح الأعمال، لأنه يشعر أنها الرصيد الروحي له في الدنيا، وانها رصيده في الآخرة، فتراه يقدم الخدمات الاجتماعية للناس على اختلافها.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة يبين فيها صفة المتقين: (عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلَ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ وَ ارْتَوَى مِنْ عَذَابِ فِرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ تَهْلًا وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدِّدًا قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَقَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَغَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتِنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحُ ظِلْمَاتٍ كَشَّافٌ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحُ مُبْهِمَاتٍ دَفَاعٌ مُعْضَلَاتٍ دَلِيلُ فُلُوتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلُمُ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَأَوْتَادِ رُضِيهِ قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَقْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَ لَا مَظْنَّةً إِلَّا قَصْدَهَا قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقُلَهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ (٢).

### الشخصية الطاهرة

يذكر أن أحد العلماء ذهب إلى الشيخ مرتضى الأنصاري (رحمه الله) (١)، فشكى إليه أوضاع أحد الطلبة، وأنه

١- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ١٤٥ ب ٤٠ ح ١٣.

٢- نهج البلاغة، الخطبة: ٨٧.

يعاني من أزمة مالية، إضافة إلى مرضه، وبعض الضغوط الأخرى، فقال الشيخ: ليس عندي سوى (ثمانية توأمين)(٢)، وهي متعلقة بسنتي صوم وصلاة استجاريين، فقال ذلك العالم: انه يعاني من المرض، ولا يقدر على ذلك، ففكر الشيخ برهة من الزمن، ثم قال: حسناً أعطه المبلغ، وأنا سأقوم بالصلاة والصوم عنه. إن هذا المستوى من الايمان لا يأتي اعتباطاً، ولا يتولد في النفس منذ الطفولة، بل هو مجموعة ضخمة جداً من المجاهدات، ومكافحة الهوى، والهروب من كل موقف فيه شبهة، لكي تبقى النفس نظيفة طاهرة نقية، عندها تكون مستعدة لأن تحصل على اليقين، الذي هو أعلى مراتب الإيمان.

## الوصول إلى الأهداف

ومن ثمرات اليقين، إضافة إلى ما مرّ، وصول الإنسان إلى أهدافه وتحقيقها؛ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (باليقين تترك الغاية القصوى)(٣). وبلا شك فإن الغاية القصوى هي الجنة؛ إذ لا يوجد أشرف من الجنة، إلا أمر واحد، وهو حب الله عزوجل، بغض النظر عن الجنة والنار، وهذا ما اختص به الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم)، ومضافاً إلى ذلك فإن الإنسان المتيقن يدرك حتى أهدافه الدنيوية؛ لأنه دائماً تسيطر عليه فكرة الإيمان والتقوى، ودائماً يعيش حب الله، والنظر إليه بعين انقطعت عن جميع العلل والأسباب، فالمتيقن

١- هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري (رحمه الله) ينتهي نسبه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري (رض)، ولد بدزفول سنة (١٢١٤) وتوفي سنة (١٢٨١) للهجرة ودفن في المشهد الغروي، وهو الأستاذ الإمام المؤسس شيخ مشايخ الإمامية، قدم العراق وهو في العشرين من عمره فورد كربلاء وكانت الأستاذية والرياسة العلمية فيها لكل من السيد محمد المجاهد وشريف العلماء فرغب الأول إلى والده أن يتركه في كربلاء للتحصيل على إثر مذكراته وظهور قابليته فبقي أخذاً من الأستاذين، خرج إلى الكاظمية وعاد منها إلى وطنه واختلف إلى شريف العلماء، مر بكاشان عند خروجه لزيارة مشهد الرضا (عليه السلام) ففاز بلقاء أستاذه النراقي (رحمه الله)، مما دعاه للإقامة ثلاث سنين في كاشان، وحكي عن النراقي قوله: لقيت خمسين مجتهداً لم يكن أحد منهم مثل الشيخ مرتضى، ورد النجف الأشرف عام (١٢٤٩هـ) أيام الشيخ علي بن الشيخ جعفر وصاحب الجواهر ثم انفرد بالتدريس واستقل ووضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة الإمامية إلى أن انتهت إليه رياسة الإمامية العامة بعد وفاة الشيخين وصار على كتبه ودراستها معول أهل العلم، وكان (رحمه الله) يملئ دروسه في الفقه والأصول كل يوم في الجامع الهندي حيث يغص فضاؤه بما ينيف على الأربعمئة من العلماء والطلاب وقد تخرج منه أكثر الفحول من بعد مثل الميرزا الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي والسيد حسين الترك والشرابياني والمامقاني والميرزا أبو القاسم الكلاتري، من مصنفاته (رحمه الله) المكاسب وكتاب الطهارة

المعروف بطهارة الشيخ وكتاب الصوم والزكاة والخمس ورسائله الخمس المشهورة وكثير غيرها، أنظر أعيان الشيعة: المجلد ١٠ ص ١١٧ حرف (الميم).

٢- توأمين: جمع (تومان) وهي العملة النقدية المتداولة في إيران اليوم.

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٧.

يستشعر التوحيد أكثر من غيره، ويدرك جيداً أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، فهو متمسك به في جميع أموره، ومن تمسك واعتمد على الله بدرجة عالية كان الله تعالى يده وعينه وقلبه: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (١).

وبذلك يكون نظر الإنسان دائماً إلى العلة البعيدة، وهو الله، إلا إنه يراها قريبة جداً بنور إيمانه، واطمئنانه بالله عزوجل، ولا يعني هذا ترك الأسباب والعلل، بل هي أمور لا بد منها، ولكن الموقن يهين السبب ويعمل به ونظره إلى الله عزوجل، لا إلى السبب.

### خليل الرحمن (عليه السلام)

ولذلك نرى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، عندما يخاطب قومه، وينكل بالأصنام والآلهة، يقول: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٢). ثم يعرض لنا صوراً من يقينه الشريف: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ) (٣).

فكان (عليه السلام) لا يرى علة حقيقية غيره، حتى سيطر على لبه الذوبان في الله، والانقطاع التام إليه عن كل شيء، توجه إلى الله تعالى بكل إخلاص، وكذا الحال مع السحرة الذين تحدوا موسى (عليه السلام)، لكنهم عندما أيقنوا بأن المسألة ليست سحراً أو تضليلاً، فان نظرتهم قد انقلبت رأساً على عقب، إلى درجة أنهم حين هددهم فرعون بالقتل وتقطيع الأوصال، فقال لهم: (لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) (٤) أجابوه بجواب المتيقن بربه، الذي لا يرهبه التقطيع أو الموت، (قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) (٥). ولعل أقرب مثال للموقنين هم أصحاب الحسين (صلوات الله عليهم)، الذين لم يكونوا ليشعروا بحر السيوف ووقعها.

### الاستغناء

والاستغناء عن الناس ثمرة من ثمرات اليقين، فقد قال مولى المتقين أمير المؤمنين (عليه السلام): (استغن بالله عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأفضل على من شئت تكن أميره) (٦). فالموقن هو الذي لا يتوسط إلا بالله، ولا يطلب أمره إلا من عند الله، لأنه لم يكن يرى العلة غيره سبحانه، بعد أن عظم الخالق في عينه فصغر ما دونه في نظره، فهذا نزر يسير من فوائد وثمار اليقين.

---

١- سورة الطلاق: ٣.

٢- سورة الشعراء: ٧٧.

٣- سورة الشعراء: ٧٨ - ٨١.

٤- سورة الشعراء: ٤٩.

٥- سورة الشعراء: ٥٠.

٦- كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤ فصل في ذكر الغنى والفقر.

## بعد النظر

ومن ثمرات اليقين هو كون الموقن لديه بعد نظر في الحوادث والأمور الأخرى؛ لأنه شديد التمسك والتوكل على الله عزوجل، إلى درجة تصاغر ذاته (الأنا) وانعدامها أمام الله عزوجل، فلا يرى الموقن لنفسه وجوداً حقيقياً إلا بالله تعالى، وعندما يصل إلى هذه المرحلة، فإن الله سوف يسدده في كل حياته.

هذا هو منهج الأئمة (عليهم السلام): (وما أنا يا سيدي وما خطري؟.. سيدي، أنا الصغير الذي رببته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضال الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته...) (١). وهذا المنهج هو الذي يجعل الرب تبارك وتعالى يفيض على عبده الرحمة والنعمة، والفضل وسعة الصدر، وازدياد العلم وقوة الإيمان واليقين، وبهذا الشكل نرى أن هذا السلوك سوف يجعل من الإنسان الموقن ذا نظر بعيد، فهو حسب منهجيته يتجاوز ذاته دائماً، ليصل بالخير والودّ والحب إلى الآخرين؛ لأنه يشعر بأن ذلك يقربه من الله، فهو دائماً يفكر في المصلحة العامة، ويتخطى المصلحة الخاصة، وينعدم الطمع والحرص في ذاته، ويرى مصلحته ومصيره مع الآخرين، وكأنه يرى نفسه أباً ومسؤولاً عن الأمة ومصلحتها، فتراه يلح في العبادة والتقرب ويتعب نفسه في الفروض والمستحبات، ثم يدعو الله، وعندما يدعو تراه يقدم الغير وحاجات الغير، أمام دعاؤه لنفسه أو حاجاته، فإن هذا الإحساس يمثل النفس الظاهرة التي ارتقت سلم الكمال، وحلقت في أعلى مراتبه، كما يروي الإمام الحسن (عليه السلام) عن مولاتنا الزهراء (عليها السلام) أنها (قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت (عليها السلام): يا بني الجار ثم الدار) (٢). فهذا هو الأساس في العبادة، وهو الأسلوب الصحيح، حيث يذكر الإنسان الآخرين، وهو الإيثار وعلو النفس.

وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من دعا للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمساً وعشرين مرة نزع الله الغل من صدره وكتبه من الأبدال إن شاء الله) (٣).

## كيف نحصل على اليقين؟

إذا كانت درجة اليقين بهذا المستوى من الشرافة والقدسية والقرب من الله عزوجل، فحريّ بالإنسان أن يسعى للوصول بإيمانه إلى اليقين، ليضمن رضا الله عزوجل، والخطوات الواجب اتباعها من أجل ذلك هي كما يلي:

---

١- مصباح الكفعمي: ص ٥٩٤ دعاء السحر لعلي بن الحسين (عليهما السلام) دعاء أبو حمزة الثمالي.

٢- علل الشرائع: ص ١٨١ ب ١٤٥ ح ١.

٣- الجعفریات: ص ٢٢٣ باب فضل الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.



## الذكر المتواصل

أي أن يذكر الله على كل حال، وفي كل موطن وموقف، وعدم التجاهل في ذلك، فإن للذكر أثراً عظيماً على القلب، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب)(١).

وقال (عليه السلام): (الذكر جلاء البصائر ونور السرائر)(٢).

وقال (عليه السلام): (إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب، تبصر به بعد الغشوة وتسمع به بعد الوقرة وتنقاد به بعد المعاندة)(٣).

فالذكر يجلي القلوب وينظفها، ويجعلها مهياً لاستقبال الفيض الإلهي؛ إذ لو بقيت القلوب على كدورتها، لما كانت لها القابلية على استقبال الفيض من الله عزوجل، والقرآن الكريم يؤكد على مسألة الذكر، فيقول تبارك وتعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)(٤).

ويقول سبحانه: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)(٥).

ويقول جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)(٦).

ثم أن الفائدة الثانية للذكر هي الاطمئنان، أي سكون القلب بذكر الله، والاطمئنان وذهاب القلق عنه كما يقول الله سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(٧). فإذا اطمأن القلب كان مستعداً لنيل واستيعاب واستقبال النعم والفيوض الإلهية العظيمة.

وقد جاء في مجمع البيان(٨) للطبرسي (رحمه الله) في تفسير هذه الآية المباركة: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله، وتسكن قلوبهم بذكر الله، وتأنس إليه... وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله، ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه، لأنه المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه.

## العناية التامة بالنوافل والمستحبات

أي أن مرحلة المحافظة على الفروض في أوقاتها تكون عنده من المسلمات، ومن الأمور العادية التي تصبح جزء من سلوكه اليومي، ثم العناية بالنوافل، فإنها تقرب الإنسان المؤمن من ربه أكثر وتجعله يلتصق بالحب

---

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٩ ح ٣٦٣٩ الفصل الثاني في الذكر.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٩ ح ٣٦٣١ الفصل الثاني في الذكر.

٣- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٩ ح ٣٦٣٦ الفصل الثاني في الذكر.

٤- سورة الأعراف: ٢٠٥.

٥- سورة الشعراء: ٢٢٧.

٦- سورة الأحزاب: ٤١.

٧- سورة الرعد: ٢٨.

٨- معجم البيان: المجلد ٣ ص ٢٩٠ تفسير سورة الرعد.

الإلهي، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (قال الله تعالى: ما تحبب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وإنه ليتحجب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أجبتة، وإذا سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددني في موت مؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)(١).

## صلاة الليل

ومن أفضل النوافل هي صلاة الليل لما لها من آثار عظيمة تنعكس على روح الإنسان، وازدياد إيمانه، وارتفاع شأنه في الدنيا والآخرة.

فقد نزل جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: (يا جبرئيل عظمي) فقال: يا محمد، عيش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه، شرف المؤمن صلته بالليل وعزه كف الأذى عن الناس(٢).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): (إن من روح الله عز وجل ثلاثة، التهجد بالليل وإقطار الصائم وإلقاء الإخوان)(٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن أجسادكم)(٤).

وعنه (عليه السلام) قال في قول الله عز وجل: (إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً)(٥) قال (عليه السلام): (يعني بقوله (وأقوم قبلاً) قيام الرجل عن فراشه يريد به الله لا يريد به غيره)(٦).

وروى جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهم السلام): (أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن قيام الليل بالقرأة، فقال له: أبشر، من صلى من الليل عشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أتبعت في الليل من حبة وورقة وشجرة، وعدد كل قصبة وخوص ومرعى، ومن صلى تسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات وأعطاه الله كتابه بيمينه، ومن صلى ثمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النية وشقق في أهل بيته، ومن صلى سبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يمر على الصراط مع الأمين، ومن صلى سدس ليلة كتب في الأوابين وغفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صلى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبته، ومن صلى ربع ليلة كان في أول الفائزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنة بغير حساب، ومن

١- المحاسن: ص ٢٩١ ب ٤٧ ح ٤٤٣.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٧١ ح ١٣٦٠.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٧٢ ح ١٣٦١.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ١٢٠ ب ٢٣ ح ٢.

٥- سورة المزمل: ٦.

٦- الكافي: ج ٣ ص ٤٤٦ ح ١٧.

صَلَّى ثَلَاثَ لَيْلَةٍ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إِلَّا عَبَطَهُ بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَمَنَّيْتَ شِئْتَ، وَمَنْ صَلَّى نِصْفَ لَيْلَةٍ فَلَوْ أُعْطِيَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَعْدِلْ جَزَاءَهُ وَكَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَقِيَّةً يُعْتَقُهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ صَلَّى ثَلَاثِي لَيْلَةٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ قَدْرُ رَمْلِ عَالِجِ أَدْنَاهَا حَسَنَةً أَثْقَلَ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ صَلَّى لَيْلَةً تَامَةً تَالِيًا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاكِعًا وَسَاجِدًا وَذَاكِرًا أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَدْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنُوبِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَ يُكْتَبُ لَهُ عِدَّةُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَمِثْلَهَا دَرَجَاتٍ، وَيَنْتَبِثُ الثُّورُ فِي قَبْرِهِ، وَيَنْزَعُ الْإِثْمُ وَالْحَسَدُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيُجَارُ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُعْطَى بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَيُيَعَّثُ مِنَ الْأَمْنِينِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي أَحْيَا لَيْلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَسْكِنُوهُ الْفِرْدَوْسَ وَلَهُ فِيهَا مِائَةٌ أَلْفَ مَدِينَةٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالٍ سِوَى مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْمَزِيدِ وَالْقُرْبَةِ(١).

## العيش مع القرآن

وكذلك العيش المتواصل مع القرآن قراءة وتدبراً وتأملاً، فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قوله: (قال من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بدمه ولحمه، وجعله الله مع السفارة الكرام البررة، وكان القرآن حجاجاً عنه يوم القيامة، ويقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله إلا عاملي فبلغ به كريم عطايك، فيكسوه الله عز وجل حلتين من حلل الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب، قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطي الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة، فيقال له: اقرأ آية واصعد درجة، ثم يقال له: بلغنا به وأرضيناك فيه؟ فيقول: اللهم نعم، قال: ومن قرأ كثيراً وتعاوده من شدة حفظه أعطاه الله أجر هذا مرتين)(٢). فإن القرآن يعطي أهم صفة للموقنين، وهي عدم نسيانهم الآخرة، مما يدعوهم دوماً إلى العمل والجد والاجتهاد وعدم التقصير، لأنهم يرون ما لا يراه الآخرون: (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)(٣). فالاستمرار بالنوافل، سواء كانت (أدعية أو صلوات) تقرب العبد من ربه، وتجعله على يقين بربه، وللنوافل آثار عديدة، منها: الابتعاد عن الماديات، والقرب من الغيب عبر المناجاة والصلوات، والعيش بالقرب من الغيب أو الاستشعار به دائماً يلهم المؤمن يقيناً ثابتاً، وذكرنا متواصلاً لله عز وجل: (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ)(٤).

## خطبة المتقين

وهنا نذكر أروع ما قيل في صفة المتقين على لسان مولى المتقين والموحدين أمير المؤمنين (عليه السلام)

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٧٥ ح ١٣٧٤

٢- ثواب الأعمال: ص ١٠٠ ثواب من قرأ القرآن وهو شاب

٣- سورة البقرة: ٤.

٤- سورة الأنبياء: ٤٩.

فقد جاء في نهج البلاغة (١):

رُويَ أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِداً فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فُتَنَّا قَلَّ (عليه السلام) عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: (يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فَلَمْ يَفْتَحْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) ثُمَّ قَالَ (عليه السلام):

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، أَمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْقَضَائِلِ. مُنْطَفِئُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَسْنِيَّتُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَنَّتِي نَزَلْتُ فِي الرِّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذِّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ تَحِيْقَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ، تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَأَيْتُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَثُوهَا فَقَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافِقُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَتِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَانِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامَحَةً قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ آدَانِهِمْ فَهُمْ حَائِثُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ أَبْرَارٍ اتَّقِيَاءُ قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّظِيرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرَضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْتِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زَكَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَقْضَلُ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لِينٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ وَقَصْدًا فِي غَيِّ وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلَبًا فِي حِلَالٍ وَتَشَاطُاً فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الدُّكْرُ يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرَحًا حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَفَرَحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْقُضْلِ وَالرَّحْمَةِ إِنْ اسْتَنْصَعَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قَرَّةً عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ قَلِيلًا زَلَّهَ خَاشِعًا قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَتَّوْرًا أَكَلَهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزًا دِينُهُ مَيْتَةٌ شَهَوْتُهُ مَكْظُومًا غِيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الدَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الدَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ يَعْفُو عَنْ ظُلْمِهِ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيدًا فَحُشَّةً لِنِيًّا قَوْلُهُ غَانِبًا مُتَكَرِّرًا حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ خَيْرُهُ مُذْبِرًا شَرُّهُ فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَلَا

يَأْتُمْ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرَفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ وَلَا يَنْسَى مَا ذَكَرَ وَلَا يَنْابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَانِبِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَنْعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرِيهِ وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَتَزَاهَاةٌ وَدُنُوهُ مِنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةُ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ).

قال: فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام):

(أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ قَمَا بِأَلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ (عليه السلام): وَيَحْكُ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يَنْجَاوِرُهُ فَمَهْلًا لَا تُعَدُّ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ).

## الاهتداء بنور أهل البيت (عليهم السلام)

من أهم الأمور الموصلة إلى اليقين التام والانقطاع إلى الله تعالى هو ملازمة أهل البيت (عليهم السلام) - وهم أولياء الله عزوجل - في حياتهم، والسير على خطاهم بعد مماتهم. والابتعاد عن أعداء الله، الذين لا تكون خطواتهم معبرة عن الإيمان الأصيل، ولا يكون تحركهم ضمن الإطار الإسلامي والمذهب الحق، فإن الابتعاد عن مواطن الشبهة والشك، والركون كلياً إلى آل الله، وهم آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم) يزيل كل اضطراب وقلق نفسي، ويرفع كل وساوس الشيطان.

نعم، الولاء لهم (عليهم السلام) أيضاً متفاوت، فليس كل الناس في ولائهم متساوين، بل هناك درجات ومراتب في حب أولياء الله، كما هو الحال في الإيمان، فهناك من يحبهم على حرف واحد، فإن أصابه شرٌّ مال عنهم إلى غيرهم، وهناك من يحبهم لأنهم شفاعوه، وهناك من يحبهم لأنهم أنوار الله وأصفياءه، ولأنهم ظلّموا أو عذبوا، فحبه لهم ليس في مقابل شيء.

وهناك مرحلة من الحب والولاء رفيعة وهي حبهم (عليهم السلام) لأنهم مصدر الفيض، وإن جميع الممكنات في هذا العالم تستمد فيضها ونعمها ووجودها من أصل أنوارهم الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهذا القدر من الحب والولاء هو الذي يحدد تحرك الإنسان، وكذلك تطابق عمله وسلوكه مع أولياء الله، فكلما ازداد المرء حباً لهم عن وعي وعلم، كلما ازداد يقيناً؛ لأن روحه سوف تكون مستعدة لقبول فيوض الإمام (عليه السلام) عليه، ومهياًة للتحلي بدعاء الإمام لها بالخير والفضيلة.

## المرتابون

كلما ازداد المؤمن إيماناً بهم ازداد ثباتاً ورسوخاً في إيمانه ويقينه؛ لأنهم باب الله، فمن شك فيهم، أو ارتاب في ولايتهم، ظل قلبه غير مستقر، وتذبذب إيمانه، لأنهم كانوا يمثلون أعلى درجات اليقين فمن تبعهم لابد أن يكون في تابعيته لهم على يقين أيضاً.

فعن زرارة أنه قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، وعن يمينه سيد ولده موسى (عليه السلام) وقدامه مرقد مغطى، فقال (عليه السلام) لي: (يا زرارة، جنني بداد بن كثير الرقي وحرمان وأبي

بصير) ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت وأحضرتة من أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً، فلما حشد المجلس، قال: (يا داود، اكشف لي عن وجه إسماعيل) فكشف عن وجهه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (يا داود، أحي هو أم ميت؟)، قال داود: يا مولاي، هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل، حتى أتى على آخر من في المجلس وانتهى عليهم بأسرهم كل يقول: هو ميت يا مولاي، فقال: (اللهم اشهد)، ثم أمر بغسله وحنوطه، وإدراجه في أثوابه، فلما فرغ منه قال للمفضل: (يا مفضل، إحسر عن وجهه) فحسر عن وجهه، فقال (عليه السلام): (أحي هو أم ميت؟)، فقال: ميت، قال: (اللهم اشهد عليهم) ثم حمل إلى قبره فلما وضع في لحدّه، قال: (يا مفضل، اكشف عن وجهه) وقال للجماعة: (أحي هو أم ميت؟) قلنا له: ميت. فقال: (اللهم اشهد واشهدوا فانه سيرتاب المبطلون يريدون إطفاء نور الله بأفواههم - ثم أوماً إلى موسى (عليه السلام) - والله متم نوره ولو كره المشركون)، ثم حثونا عليه التراب ثم أعاد علينا القول، فقال: (الميت المحنط المكفن المدفون في هذا اللحد من هو؟) قلنا: إسماعيل، قال: (اللهم اشهد) ثم أخذ بيد موسى (عليه السلام) وقال: (هو حق والحق منه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها)(١).

ولكن بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) نرى أن طائفة كبيرة تدعي أن الإمامة في إسماعيل، وإنه غائب، وليس بميت، وهذا الأمر يدل على عدم الإخلاص في الولاء، مما يؤدي إلى الانحراف في العقيدة والسلوك؛ إذ أن الانضباط والإخلاص في اتباع الأولياء (عليهم السلام) من العوامل المهمة والرئيسية في مسيرة الكمال الإنساني، لأنهم يضعون لنا الخطوط العريضة، والقواعد الرئيسية، والخطوات المطلوبة في المسيرة، وأيضاً يضعون الإشارات الحمراء، ويشخصون مناطق الخطر، فإذا زاغ الإنسان عن متابعتهم اختلطت عليه المراحل، وانعدمت عنده الرؤية الصافية، فتبدأ مرحلة الانحراف، وبالتالي الخروج من جادة الحق والصواب، وعدم الوصول إلى الهدف المنشود.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وتفضل علي اللهم وأنطقني بالهدى، وألهمني التقوى، ووفقني للتي هي أركى، واستعملني بما هو أرضى، اللهم أسلك بي الطريقة المثلى، وأجعلني على ملكك أموت وأحيا(٢).

## من هدي القرآن الحكيم

### العمل مع الإيمان

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)(٣).  
وقال عز وجل: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)(٤).  
وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)(٥).

١- غيبة النعماني: ص ٣٢٧ ب ٢٢ ص ٣٢٧ ح ٨.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء العشرون، من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق.

٣- سورة مريم: ٩٦.

٤- سورة العنكبوت: ٧.

٥- سورة العنكبوت: ٩.

وقال جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)(١).

### اليقين في الدين

قال سبحانه: (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)(٢).

وقال عزوجل: (وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ)(٣).

وقال تعالى: (يُقِصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)(٤).

وقال جل وعلا: (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(٥).

### ثمرات اليقين

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)(٦).

وقال سبحانه: (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(٧).

### الطاعة

قال تعالى: (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(٨).

وقال عزوجل: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ يَهْتَدِي بِهِ الْيَقِينُ)(٩).

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(١٠).

وقال جل وعلا: (فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)(١١).

---

١- سورة فصلت: ٨.

٢- سورة البقرة: ٤.

٣- سورة الأنعام: ٧٥.

٤- سورة الرعد: ٢.

٥- سورة البقرة: ١١٨.

٦- سورة السجدة: ٢٤.

٧- سورة الجاثية: ٢٠.

٨- سورة النور: ٥٤.

٩- سورة الأنفال: ٢٠.

١٠- سورة النساء: ٥٩.

١١- سورة المجادلة: ١٣.

## من هدي السنة المطهرة

### العمل والإيمان

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه)(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (بالصالحات يستدل على حسن الإيمان)(٢).  
وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (... الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل)(٣).

### اليقين

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خير ما ألقى في القلب اليقين)(٤).  
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (باليقين تتم العبادة)(٥).  
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كفى باليقين غنى وبالعبرة شغلاً)(٦).  
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (كن موقناً تكن قوياً)(٧).  
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (اليقين يثمر الزهد)(٨).  
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده عيسى بن مريم (عليه السلام) كان يمشي على الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء)(٩).  
عن يونس قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن الإيمان والإسلام، فقال: (قال أبو جعفر (عليه السلام): إنما هو الإسلام والإيمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين) قال - يونس - : فأني شيء اليقين؟ قال (عليه السلام): (التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله) قلت: ما تفسير ذلك؟ قال (عليه السلام): (هكذا قال أبو

---

١- نهج الفصاحة: ص ١٤٦ ح ٧١٧.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٤ ح ٢٨٧١ الفصل ٤ في العمل.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٣٨ باب الإيمان ح ٣.

٤- أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص ٨٧٤ المجلس ٤٤ ح ١.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦١ ح ٧٠٧ الفصل ١٠ اليقين كمال المعرفة.

٦- المحاسن: ص ٢٤٧ باب اليقين والصبر ح ٢٥١.

٧- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٢ ح ٧٤٧ الفصل ١٠ اليقين كمال المعرفة.

٨- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٢ ح ٧٣٥ الفصل ١٠ اليقين كمال المعرفة.

٩- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٧٩ ب ٥٢ ح ٤.



جعفر (عليه السلام)) (١).

## الطاعة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (.. ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته) (٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (نعم الوسيلة الطاعة) (٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (طاعة الله مفتاح كل سداد وصلاح كل فساد ومعاد) (٤).

## الأولياء والمؤمنون

قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَظَّمَهُ مَنَعَ قَاهُ مِنَ الْكَلَامِ وَبَطَنَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَعَقَا نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. قَالُوا: يَا أَبَانَا وَأَمَهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَنُوا فَكَانَ سُكُونُهُمْ ذِكْرًا وَنَظَرُوا فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً وَنُطِفُوا فَكَانَ نُطْفُهُمْ حِكْمَةً وَمَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً لَوْلَا الْأَجَالُ الَّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقْرَأْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْعَذَابِ وَشَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ) (٥).

وخطب الناس الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) فقال: (أيها الناس، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيبي، وكان رأس ما عظم به في عيبي صغير الدنيا في عيبي، كان خارجاً من سلطان بطني فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رايه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صماتاً، فإذا قال بد القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليناً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العثر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ولا يفعل ما لا يقول، كن إذا ابتزّه أمران لا يدري أيهما أفضل نظر إلى أقربيهما إلى الهوى فخالقه، كان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم، ولا يتسخط، ولا يتشكى، ولا يتشهى، ولا ينتقم، ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله) (٦).

١- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٨٠ ب ٥٢ ح ٤٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٩٦ ب ٤٧ ح ٣.

٣- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٢ ح ٣٤٢٥ الفصل ١ في طاعة الله.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٢ ح ٣٤٢٢ الفصل ١ في طاعة الله.

٥- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٧ ح ٢٥.

٦- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٧ ح ٢٦.

عَنْ مِهْزَمِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (يَا مِهْزَمُ، شَيِّعَتُنَا مَنْ لَا يَعْدُو صَوْتُهُ سَمْعَهُ، وَلَا شَحْنَاؤُهُ بَدَنَهُ، وَلَا يَمْتَدِحُ بَنَّا مُعَلَّنًا، وَلَا يُجَالِسُ لَنَا غَائِبًا، وَلَا يُخَاصِمُ لَنَا قَائِلًا، إِنَّ لَقِيَّ مُؤْمِنًا أَكْرَمَهُ، وَإِنَّ لَقِيَّ جَاهِلًا هَجَرَهُ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهِؤُلَاءِ الْمُتَشَبِّهَةِ؟ قَالَ: (فِيهِمُ التَّمْيِيزُ وَفِيهِمُ التَّبْدِيلُ وَفِيهِمُ التَّمَحِصُ، تَأْتِي عَلَيْهِمْ سِنُونَ تُفْقِيهِمْ، وَطَاعُونَ يَقْتُلُهُمْ، وَاخْتِلَافٌ يُبَدِّدُهُمْ، شَيِّعَتُنَا مَنْ لَا يَهْرُ هَرِيرَ الْكَلْبِ، وَلَا يَطْمَعُ طَمَعَ الثُّرَابِ، وَلَا يَسْأَلُ عُدُونَنَا، وَإِنْ مَاتَ جُوعًا) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَيْنَ أَطْلُبُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: (فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، أَوْلَيْكَ الْخَفِيزُ عَيْشُهُمُ الْمُتَنَقِّلَةُ دِيَارُهُمْ، إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرِفُوا، وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُقْتَدُوا، وَمَنْ الْمَوْتِ لَا يَجْزَعُونَ وَفِي الْقُبُورِ يَتَزَاوَرُونَ، وَإِنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ ذُو حَاجَةٍ مِنْهُمْ رَحِمُوهُ، لَنْ تَخْتَلِفَ قُلُوبُهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفَ بِهِمُ الدَّارُ) (١).

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي إِثْمٍ وَلَا بَاطِلٍ، وَإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخِطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَالَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ تُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَى التَّعَدِّيِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ) (٢).

وَقَالَ (عليه السلام): (الْمُؤْمِنُونَ هَيَّئُونَ لِيُنُونَ، كَالْجَمَلِ الْأَيْفِ إِذَا قِيدَ انْقَادًا وَإِنْ أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاحَ) (٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): (الْمُؤْمِنُ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا فِي شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هِيَ؟ قَالَ: (التَّخَلُّةُ) (٤).

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (الْمُؤْمِنُ حَلِيمٌ لَا يَجْهَلُ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ، وَلَا يَظْلِمُ وَإِنْ ظَلِمَ عَفَرَ، وَلَا يَبْخُلُ وَإِنْ بَخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ) (٥).

وَقَالَ (عليه السلام): (الْمُؤْمِنُ مَنْ طَابَ مَكْسَبُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَصَحَّتْ سَرِيرَتُهُ وَانْفَقَ الْفَضْلُ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلُ مِنْ كَلَامِهِ وَكَفَى النَّاسَ شَرَّهُ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ) (٦).

١- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٨ ح ٢٧.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٤ ح ١٣.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٤ ح ١٤.

٤- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥ ح ١٦.

٥- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥ ح ١٧.

٦- الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥ ح ١٨.